في الحياة الاجتماعية

كل نشاط إنساني هو نشاط اجتماعي، فلا سياسة ولا اقتصاد خارج المجتمع، كما لا ثقافة أيضاً. ولا فصل بين هذه الأنشطة جميعاً، وبين الأنشطة الاجتماعية، إلا وينطوي على شيء من العسف، إلا أنه ضرورة للدراسة والتوضيح.

من جهة أخرى، يعتبر الحراك الإنساني المجتمعي تلك البوتقة التي تنصهر فيها الخبرات الذاتية أو المكتسبة لمجموعة بشرية ما، والتي ينتج عنها منتجات وبقايا. فالمجتمعات تأخذ ما يلائمها ويناسب سيرورة حياتها، فتبقى عليه وتعمل تلقائياً على تأصيله، وبالمقابل فإن الكثير من القضايا التي تشهدها، قد يدخل عالم النسيان باعتبارها أنشطة لم تتلاءم مع روحية ووجدانية المجتمع، ولم تجد قبولاً فيه، دون أن يعني ذلك أن أفراد هذا المجتمع اجتمعوا وقرروا بعد مباحثات ماذا يأخذون ويبقون، وماذا يرفضون ويطرحون.

المشترك الإنساني:

هناك خصوصيات لكل شعب أو لكل تجمع أنساني، كما أن هناك مشترك بين الشعوب، هذا المشترك الإنساني قد يظهر نتيجة تشابه الظروف التي تعيشها الفئات الاجتماعية، كما قد يظهر التثاقف والتواصل والاحتكاك، ولمعرفة ذلك جيداً لا بد من توفر المعرفة الجيدة بتناقل الخبرات، وقنوات هذا التناقل، أو الظروف الطبيعية والمناخية وغيرها، التي تلجيء الإنسان لسلوك مسلك قد تضغط ظروف مشابهة على آخر في مكان بعيد إلى سلوك مثله.

ففي الأنساق الاسطورية والرمزية من ثقافات الشعوب نلاحظ وجود عناصر مشتركة بين ثقافتين أو عدد من الثقافات أو الحضارات، حتى المتباعدة زمانياً أو مكانياً، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على قدرة البشرية على إيجاد المشترك ورعايته وتطويره بعيداً عن أساليب القسر والإكراه، أو القرارات والأوامرية، إنما من خلال عمليات تثاقف مستمرة، أو نتيجة تشابه في الظروف ومستوى الحياة وتفاصيلها.

من أمثلة ذلك ما يذكره تهامي العبدولي عن عادة يابانية قديمة لا تزال سائدة في بعض الأوساط، وهي عبارة عن طقس يتم أداؤه لتطهير مكان بناء ما قبل الشروع في عملية البناء، ويقوم بالطقس كاهن من الشنتوكي يهديء الأرواح الانتقامية الثأرية المقيمة تحت التراب، بصلاته لكامي (إله) التراب كي يحمي العمال والبناء والمتساكنين لاحقاً وينجيهم من الشرور، وتقضي العادة بسكب شراب الساكي (شراب الساكي شراب مسكر هو عصير الأرز المخمر) في الأرض المعدة للبناء أو في أساسة، أو يرمون بعض حبات الأرز.

تذكر هذه العادة بمثيلة لها عند العرب، تقضي بالنحر وإراقة دم الضحية على الأساس أو على الأرض يوم الحفر وقبل الشروع في البناء(1). ولا تزال هذه العادة في بعض الأرياف السورية وقد شهدت ممارستها في طفولتي (المؤلف).

ويشير العبدولي إلى أن هذه العادة موجودة عند الهنود في شمال الشيلي، فحين يدعوك الهندي للشرب. يطلب منك بعد أن يصب لك الشراب، أن تسكب بعضه على الأرض لإرضاء آلهة الأرض، كذلك في تايلندا حيث يعتمد أهلها عند تهيئة أرض جديدة للزراعة إلى سكب الشراب المعد من الأرز، لإله الأرض، ومثلها أو قريب منها موجودة عند الإيطاليين الذين يضعون سمكتين متوسطتي الحجم تحت عتبة البيت قبل بنائها، كذلك عند الأكراد الذين يقدمون ذبيحة ويتم تلطيخ جدار المنزل الخارجي بدمها(2). كل هذا يندرج تحت ما نسميه (العادة الجامعة) التي يقول عنها العبدولي: ((إننا إزاء أنساق ثقافية مختلفة، وأمام بيئات مختلفة، وإزاء مجتمعات متمايزة، ولكننا في الوقت نفسه نقف عند عادات متشابهة أو متماثلة رياضياً. نحن إذن، من قلب المختلف نحقق قدراً من المؤتلف. وحتى نقنع أنفسنا بهذا

الممكن الغريب لا بد أن نعي أن ثمة بنية جامعة بين كل الثقافات، جوهرها نموذج أساسي، وذلك النموذج يتناسخ ويطبق في حدود معلومة حسب المجموعات واعتباراً لخصائص الاجتماع))(3).

وسواء كانت هذه البيئة الجامعة أو العادة، هي من إملاء ظروف كل شعب بشكل مستقل أو كانت اقتباساً وتقليداً، فلا شك أن فيها مستوى معين من الحوار بين الثقافات والحضارات، سواء عبر قواعد ظاهرة وقنوات مشخصة، أو عبر عناصر إنسانية مجتمعية تحيل إلى المشاركة في المشاعر بالتالي في قواعد وتفاصيل الحياة.

وهذا الذي نراه بين مجموعة من الشعوب أو على مستوى المعمورة من المشترك الإنساني، في ظروف السكن وفي الأزياء، وفي أدوات العمل، وفي زراعة وجني المواسم، وفي الطقوس وفي الأطعمة وفي العادات والتقاليد الاجتماعية الأخرى، من المتشابهات، يشكل عناصر اتفاق إنسانية مجتمعية من الخير للبشرية أن تنميها وتعمل على إدامتها، كعناصر حوار كفيلة بالتلاقي أكثر من المؤتمرات والمباحثات المسيّسة، وإن افتقاد تنمية هذا المشترك يمكن أن يوقع البشرية في شرك الصدام.

والسؤال كيف تتم تنمية المشترك الإنساني، وعبر أية قنوات؟

للإجابة نشير إلى قنوات أثبتت دورها الفاعل، في تفاعل الشعوب وحوار حضاراتها.

الهجرة

منذ القديم أثبتت الهجرات دورها الفاعل في تنمية وإخصاب العلاقات بين الشعوب من خلال زيادة معرفتها ببعضها، بالتالي اكتشاف الممكن تطويره ليصبح مشتركاً، وزيادة فاعليته، وإذا كان لها بعض السلبيات التي تسهم في إبقاء مناخات الصدام، أو في إحداث صدامات جزئية، فربما كان هذا رهناً بظروف عدة منها التغيرات التي قد تحدثها هجرة مجموعة من البشر على حياة مجموعة مستقرة مما لا تكون مؤهلة له، ونتائج الاحتكاك تحدث مثل هذه الصدامات،

كما أن حدة بروز العناصر المميزة لكل مجموعة تجعل الاحتكاك يولد التنافر حول ما يمكن أن يكون مجتمعياً، أي للجميع، وكل يرغب بتطبيق مقاساته وقواعده المستمدة من خصوصيته. وقد ثبت صلابة الخصوصية المجتمعية التي قد تحتاج إلى وقت طويل لتزول أو تتحلل، وليس بالضرورة أن تكون قد زالت عندما نتخيل ذلك، بل ربما قد تكون تحولت شكلاً، أو أصبحت كامنة في العمق وتبرز عند ما تواتيها الظروف أو تستدعيها.

إن لتأكيد الخصوصية عند المهاجرين حدين: الأول، هو إنشاء حوار مع هذه الخصوصية البارزة، من قبل خصوصيات أخرى لتفهم كل منهما الأخرى وتتعامل معها، والثاني، الإبقاء على الأبعاد والفواصل بين الكتل الاجتماعية في مجتمع واحد. يظهر البعدان في المثال التاريخي الذي يشير إلى أن روما قد حكمها في أواخر القرن الثاني الميلادي ضابط من شمال أفريقيا اسمه سبتيموس سيفيروس، وكانت زوجته السورية جوليا دومنه من مدينة حمص السورية، وقد عرفت الأسرة التي أسسها سيفيروس بالأسرة السورية، التي أنجبت بعد مؤسسها ثلاثة من الأباطرة الذين حكموا روما، وكانت جوليا دومنه ابنة الكاهن الأعلى لمعبد الشمس في حمص.

وهذا يفسر محاولة باسيان الفتى الامبراطور الذي أراد نشر دينه أي عبادة الإله ((إيلاجابال)). وكانت جوليا دومنه عندما رحلت إلى روما حملت معها ثلة من أقاربها ومنهم أختها ((جوليا ميسا)) التي زوجت ابنتيها ((سهيمة)) و((مماياا)) إلى ضابطين سوريين فأنجبت الأولى الامبراطور ((باسيان)) والثانية الامبراطور ((الكسيان)) ويدعوهن المؤرخ جيبون بالأميرات السوريات.

وقد انتشرت عقيدة الشمس في روما برعاية الأميرة جوليا والأسرة السورية بشكل عام خاصة عندما أصبح باسيان هو الامبراطور بعد مقتل ((كركلا)) ابن جوليا دومنا الذي كان امبراطوراً، لكن زيادة تركيز باسيان على الخصوصية جعلته يهمل الحكم ويقع في مالم يغفره مجتمعه الذي أسقطه(4).

وللهجرة أنواع، قد تكون مؤثرة في إحداثها لحوار حقيقي، فهناك هجرات قسرية كهجرة الفلسطينيين من ديارهم نتيجة الاحتلال الصهيوني، أو هجرات

الأقليات عندما تشتد الأزمات كما حدث في البلقان أو في أفريقيا أثناء الصدامات المسلحة، وهناك هجرات ترافق الجيوش كهجرة العرب المسلمين الذين استقروا في البلاد المفتوحة، وهذه الهجرة أخصبت وأحدثت حوارات لا تزال آثارها باقية في التراث العربي الإسلامي كما ذكرنا.

كما أن هناك هجرات يقودها الأمل بالتخلص من الفقر أو في سبيل حياة أفضل كالهجرة إلى الأمريكيتين وإلى أستراليا. فقد هاجر من الغرب إلى العالم بين عامي 1821 ـ 1924 م أكثر من /55/ مليون أوربي عبر البحار منهم /34/ إلى الولايات المتحدة (5).

ويشكل المسلمون نتيجة الهجرة جالية كبيرة في الدول الأوربية ففي فرنسا أكثر من أربعة ملايين مسلم، والإسلام هو الديانة الثانية فيها، وهؤلاء لهم مؤسساتهم ومدارسهم وثقافتهم .... إلخ مما يؤسس لحوار حقيقي مع باقي فئات المجتمع الفرنسي، ولا شك أن هذا الحوار مهما تعسر سيحيل إلى حوار حضاري فاعل. (وكمثال على صدام الحضارات وحوارها ما يدور الآن من جدال حاد حول حجاب المسلمات في المدارس الفرنسية)

وقد بلغ أثر الهجرة على أوربا وأمريكا أن انقسمت مجتمعات هذه البلدان بين مؤيد للهجرة ومعارض لها، وتزداد نسبتهم للتخوف من انقسام المجتمع وتغير طبيعته.

ومن بين الهجرات ذات الأثر الباقي والمتألق هجرة العرب إلى الأمريكيتين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وقد صنعت هذه الهجرة أدباً جميلاً ستبقى آثاره على الأيام، وكان الأدباء كما بقية المهاجرين رسل حضارة الشرق إلى الغرب: وسنترك لأحد أساطين هذه الهجرة أن يعبر عنها.

يقول الشاعر والأديب جورج صيدح: ((من مآتي الأدب المهجري أنه بعد أن أدى الرسالات التي ذكرناها إلى وطنه وقومه، نقل إلى الغرب ـ بلسان الغرب ـ رسالة الشرق العربي واستطاع ـ علي قلة وسائله المادية والمعنوية ـ أن يؤثر في البيئة الأمريكية الغنية بوسائلها، أكثر مما تأثر بها))(6). ويتابع : ((لقد ألّف أدباء المهجر مئات الأسفار بلغات أجنبية ضمنوها رسالة الشرق الروحية وتاريخ حضارة

الأمة العربية.... كتبوا باللغة الإنكليزية للولايات الشمالية وبالأسبانية لأمريكا اللاتينية وبالبرتغالية لجمهورية البرازيل)) (7).

لقد كانت الهيئات الثقافية في بلاد المهجر تتسابق لدعوة العرب المهاجرين لإلقاء المحاضرات،ودور النشر تتسابق لطباعة أعمالهم. لقد طبع من كتاب النبي وحده أكثر من مليون نسخة، وترجم إلى أربعة وخمسين لغة وتكرس في مناهج التعليم في المدارس (لا ننس أن كلام جورج صيدح هذا في أواسط الخمسينات من القرن العشرين) كما نافس الريحاني جبران في الأثر الذي أحدثته مؤلفاته بالإنكليزية، كذلك ميخائيل نعيمة الذي كتب بالإنكليزية شعراً ونثراً. وكثيرون غيرهم كحبيب اسطفان ونبيه فارس وجورج خير الله، وقد نقشت الحكومة الأمريكية اسم الدكتور فيليب حتي العالم الأشهر والذي كتب ثلاثة عشر كتاباً بالإنكليزية عن الشرق العربي، على حائط المعرض العالمي في نيويورك بين اثني عشر اسماً لعظماء الرجال الذين أتحفوا الديمقراطية بآثار ذات شأن(8).

هكذا تتجاور الحضارات وهكذا تؤثر وتتأثر، والغريب أن الأرض التي انصهرت فيها حضارات عدة لتشكل حضارتها بعد حوار طويل بينها، هي ذاتها الأرض التي تشهد انطلاق الحديث عن صدام الحضارات خدمة لمصالح من تربوا على حوارها، وكانو نتاج هذا الحوار.

التنظيمات المشتركة:

تتمتع المرحلة التاريخية الحديثة والمعاصرة من تاريخ البشرية بسمة هامة، هي سمة التنظيم أو التكتل، ذلك لأن المعترضات من القضايا والمشكلات العامة تحتاج إلى تضافر الجهود لإيجاد حلول لها، باعتبار أن آثارها أو حجم خطرها أكبر من أن يواجهه الفرد.

لقد تنبهت الشعوب إلى أن مشاكل أوطانها تحتاج إلى التكتل، فأنشأت تجمعات تعنى بشؤون هذه الأوطان سمتها الأحزاب، وقد أثبتت نجاعتها، من هذا المنطلق كان التفكير في إنشاء تجمعات تواجه حالات معينة على مستويات تتجاوز الدول المفردة، وهذه التجمعات تنسق جهود المتخصصين أو المهتمين بشأن ما.

obeikandi.com

لقد أشرنا سابقاً إلى أن الأمم المتحدة قد أنشأت منظمات متخصصة سواء بالثقافة أو الصحة أو الزراعة أو غير ذلك. وأهمية هذه المنظمات سواء على مستوى الأمم المتحدة أو التجمعات الأخرى بالنسبة لحوار الحضارات، هو توحيد النظرة إلى القضايا والحلول والجهود المبذولة عالمياً، هذا من جهة، من جهة ثانية يجري التعرف على المشترك والمختلف بين الدول والشعوب، وهذا بحد ذاته حوار بين هذه الشعوب مهما اختلفت رؤاها الثقافية.

إن الاتحادات العالمية لبعض القطاعات الشعبية كالاتحادات النسائية العالمية أو القارية وكذلك اتحادات العمال أو الأدباء أو أية قطاعات أخرى هي مثال على هذه التجمعات التي تصنع الحوارات المشتركة، فتبرز المشترك من النجاحات والاخفاقات والآمال والسلبيات، من هنا يبرز دور هذه التجمعات كقوى حضارية متحاورة ومتفاعلة.

أيضاً هناك حالات كوراثية تتعرض لها مناطق معينة في العالم تستدعي جهوداً تتجاوز القطر الواحد أو الدولة الواحدة، وهذه حالات استدعت توحيد جهود الإغاثة والمعونات، فنشأت منظمات كالصليب الأحمر، وأطباء بلا حدود، وصحافيين بلا حدود وغيرها، وقد يقول قائل ما علاقة هذه المنظمات الإنسانية بحوار الحضارات؟ هنا نشير إلى أن كل هذه الجهات والجهود تخلق المناخات لتواصل الناس من كافة الحضارات ولينبذوا التفرقة والتعصب، ولتلتقي جهودهم في سبيل خير البشرية عندما تدعو الحاجة فتثمر الخبرة المتحصلة عن الحوار والمشاركة، كما توحد الرؤية حول المشاكل العالمية المطروحة، وتكرس الشعور حول المسؤولية الجماعية.

من جهة أخرى هناك هموم عالمية المستوى، تحتاج إلى من يواجه نتائجها، وتحتاج إلى المتطوعين المتخصصين الذين يتسمون بشجاعة مواجهة السلطات، كما في حالة الدفاع عن حقوق الإنسان في وجه الانتهاكات التي تحدث لهذه الحقوق، مما دفع إلى وجود منظمات عالمية ترعى ضحايا هذه الانتهاكات في ظل سلط بلدانها، وهؤلاء يتعرضون لكثير من العسف، ومن شأن قضايا حقوق الإنسان أن تخلق حواراً حول مدى إنسانية الإنسان والقضايا التي تواجهها الحرية والنضالات في سبيل دفع الهموم المشتركة.

لقد أثبتت البشرية من خلال اهتمامها بموضوع حقوق الإنسان سواء المدنية والسياسية أو الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أو حقوق التضامن، الحرص العالمي على توحيد الجهد لجعل حياة الناس في العالم أجمع أكثر أماناً وطمأنينة وأكثر تمسكاً بكرامة الإنسان أياً كان، وهذا يدل على حوار بين المجموعات البشرية للوصول إلى مثل هذا التوافق، كما أن هذا التوافق يعد دليلاً على الحوارات التي تمت بين الحضارات ومجموع التفاهمات التي تجعل من البشرية كلاً متضامناً يطمح لجعل حياة الناس أفضل، بل موحدة الأهداف والقضايا.

وتوصف حقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة لصالح شعوب العالم، أو تلك التي ترعاها منظمات دولية أو قارية أخرى، بأنها ((قواعد آمره)) لا يجوز الاتفاق على خلافها فهي جزء من النظام العام الدولي(9).

وهذه الحقوق ترعاها البشرية من خلال مؤسساتها ((وأوضحت محكمة العدل الدولية أن هذه الحقوق بمنزلة ((الأسس والركائز الدولية للإنسانية))، وأنها أصبحت التزامات عرفيه وجزءاً من القانون الدولي العالمي المفروض على الكافة))(10).

وتبرز قضية تكامل حقوق الإنسان بما لها من أهمية في جمع هذه الحقوق والتأليف بينها نحو مآل ((عالمية حقوق الإنسان المعبرة عن الكرامة الإنسانية))(11).

إن وجود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهدين الدوليين لحقوق الإنسان (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) والبرتوكول الخاص باللجنة الدولية لحقوق الإنسان، دليل على وحدة النظرة القانونية تجاه الإنسان بعيداً عن مدى تطبيق أم عدم تطبيق،أو السلبيات الحاصلة في تطبيق هذه المواثيق الدولية، لا بل دلالة على الانسجام الحضاري تجاه هذه القضايا، هذا الانسجام الذي لا يحصل دون الحوار بين الكتل الحضارية.

وينطبق الأمر على اتفاقية حقوق الطفل والاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز، واتفاقية مناهضة التعذيب، واتفاقية مناهضة التمييز ضد المرأة، لتاريخية الحراك من أجل حياة بشرية أفضل، وهي لا تصح نسبتها لشعب واحد من

شعوب البشرية، كما لا يجوز إخراجها من نسبيتها، بمعنى قبولها أو عدم قبولها عند كافة الشعوب، ومن ثم التحفظات عليها أو على أجزاء ومواد منها تعبيراً عن الخصوصيات التي لا يحق لأي ميثاق القفز عليها وتجاهلها، ويبدو ذلك في تحفظات افريقية أو آسيوية أو إسلامية أو غير ذلك، على بعض مواد هذه المواثيق، بما لا يلغي عالميتها أو إنسانيتها(12).

وينقل عن بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة، قوله في افتتاح المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في 14/يونيو/1993: ((إن حقوق الإنسان هي مشترك بين جميع أعضاء المجتمع الدولي، وهي تشكل اللغة المشتركة للإنسانية)) و((....فالعالمية صفة متأصلة في حقوق الإنسان)) (13).

فكيف لا تكون هذه الحقوق موضوعاً للحوار ومناخاً له؟!

من التنظيمات المشتركة أيضاً تلك المتخصصة في حماية البيئة، وكيف تهب لمواجهة الكوارث البيئية أينما حصلت، خاصة تلك التي لا تهتم السلطات الرسمية بها بشكل كافٍ، وتسهم في تنمية الوعي البيئي والتربية البيئية بالحوار مع منظمات منتشرة عبر العالم، من أمثلة هذه المنظمات (الخضر) في أوربا، وقد تحولوا في بعض الدول إلى أحزاب كبيرة تخوض غمار السياسة، ولها نضالاتها، وهي توحد جهودها في سبيل بيئة عالمية نظيفة وتسهم في الحوار حول شروط الحياة البشرية الكريمة في كافة الدول والحضارات.

ومنها أيضاً تلك التي نشأت في الأعوام الأخيرة لمواجهة خطر العولمة وسياساتها للانسانية وهي تقوم بمواجهة ساخنة تقع فيها الضحايا، خلال مؤتمرات قوى العولمة، كما أن هذه القوى والمنظمات الإنسانية قد قامت بتوحيد جهودها في منتدى يعقد دورياً بالتوازي مع منتدى دافوس لقوى العولمة، وهو منتدى بورتو الليجري، يتم الحوار فيه على مستوى عالمي لتوحيد جهود فقراء العالم في سبيل درء خطر العولمة، بعولمة مضادة.

إن ما تقدم من إشارات إلى الجهود التي تبذل على المستوى الاجتماعي لتوحيد نضالات العالم لدرء أخطار الحضارة الحديثة والكوارث والعسف، هو دليل على أن الحضارات بأبنائها الحقيقيين مستعدة في كل حين للتحاور والتنسيق عندما تقتضي

الأمور، وأن الإنسان أينما كان، يهب بسرعة لمواجهة ما تتعرض له البشرية متحملاً المشاق، لملاقاة الإنسان الآخر حضارياً لما فيه خير المجتمع، خاصة عند الأخطار المشتركة، وهذا من أعلى أشكال الحوار بين الحضارات،

مما يشار إليه في هذا المجال، المناخات التي سادت في العالم خلال فترة الإعداد للحرب على العراق من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانا، (وقد كان ذلك خلال فترة الإعداد لهذا الكتاب). إن الصورة التي نقلتها وسائل الإعلام خاصة الفضائيات التلفزيونية يوم 2003/2/15 حيث تعم المظاهرات مئات المدن في العالم، احتجاجاً على الحرب المتوقعة على العراق (والتي حدثت وكانت كارثة على الحضارة العالمية)، دليل على التفاعل الحضاري بين الشعوب.

هذه المظاهرات والاحتجاجات على مشروع الغزو، ومناهضة فكرة الغزو، كانت رداً على الهنتنجتونية، ذلك أن الجهة التي ستغزى هي العراق المسلم، والعريق في حضارته الإسلامية، كما في غيرها، بينما الغازي هم الانكلوساكسون المسيحيون المغرقون في غربيتهم، هذا الاحتجاج يظهر في قلب المجتمعات الغربية، فالمظاهرات التي قد يسير في الواحدة منها ما يزيد على المليون شخص (مسيحي ومسلم وغير ذلك) في لندن وغلاسكو وكامبيرا وروما ومدريد وغيرها، تحتج على الشيء الأساسي في صدام الحضارات، وهو تحويل المصالح المادية إلى أسباب جوهرية للنزاعات العالمية، فأغلب الشعارات المرفوعة في هذه المظاهرات تشير إلى رفض الحرب من أجل النفط أو رفض تقديم الدماء وإراقتها في سبيل الثروة أو البترول.

من جهة أخرى تبرز هذه المظاهرات أن صدام الحضارات هي فكرة سياسية تناسب السياسيين ذوي الأطماع، وقد وضعت لتبرز تصرفاتهم، والأكيد أن الشعوب ليست منسجمة مع هذه الفكرة بالضرورة بدليل وقوف الشعوب في وجه حكامها الساعين إلى الحرب.

ما تقدم يبرز أهمية المجتمع المدني والمنظمات التي يشكلها أو تنتمي إليه، ويبرز دور سلطات البلدان في ضرورة إفساح المجال لهذه المنظمات في أن تعمل وتقوم بواجبها بحرية، وكيف يتم التعاون والتنسيق بين جهود السلطات وجهود المجتمع المدني، كعلاقة بديلة للضغط والنفي.

obeikandl.com

وهذه المنظمات أصبحت ضرورة عالمية، حيث تتلاقى جهودها في كل بلدان العالم لإنجاز مافيه خير التكتلات والفئات الاجتماعية دون أن تشكل خطراً إلا على الفساد، وعلى أعداء حرية الشعوب ومثيري الفتن والحروب، وهذا الدور لا تستطيع القيام به منظمات المجتمع الأهلي لضعف امتدادها العالمي، وتمركزها حول أهداف ذاتية جداً.

دور العلم والتكنولوجيا:

منذ الأزمان السحيقة كان للعلم دور بارز في الحوار بين الحضارات، والعلم يقوم على أساس التجربة التي تحول الفكرة إلى تكنولوجيا، فأولى المخترعات البشرية الهامة تم تعميمها بين الشعوب والحضارات، ولم يكن في وسع التطور الذي نراه في عالمنا أن يتجاوز اللبنات البدائية في بناء الحضارة الإنسانية، إذ لا يستيطع كل جيل أو لا تستطيع كل حضارة أن تعود إلى الإنطلاق من درجة الصفر، وإلا ما حصل التراكم بالتالي ما حصل التقدم، ينقل د. أمين إسبر عن أدونيس قوله: ((إذا لم تر في المركبة الفضائية الدولاب السومري فأنت لست حديثاً)) (14).

هكذا كانت كل مرحلة في تاريخ البشرية تضيف إلى هذا التراكم ما استطاعت أن تصل إليه، حتى إذا وصلنا إلى عصر النهضة في أوربا تسارعت الاكتشافات العلمية وتسارعت القدرة على تحويل الأفكار العلمية والنظريات إلى تكنولوجيا، والأهم في هذه القواعد الأساسية هو اختراع الطباعة وتعميمها، مما سمح لانتشار الأفكار والمعلومات وكذلك اكتشاف قوة البخار.

لن نبدأ بتعداد ما أوجدته البشرية بدأبها وحرصها على تطوير الحياة، حتى لو لم يكن الهم العام هو الذي يقود الجهود فقط، بل ربما كان هم تطوير الإنسان لنفسه وأسرته أو لبيئته الضيقة، لكن هذا ما لبث أن تعمم وأصبح العالم أو التكنولوجي، يضع في اعتباره كيف سينتشر عالمياً من خلال ما يقدم. إن الشواهد على ما قدمه العلم للبشرية لا تحتاج إلى أي شرح أو بيان، فهي واضحة كما الشمس الساطعة.

لكن لنعرف إلى أين وصلنا، يجب أن نبدأ من الأخير. وما نحن فيه الآن يقدم أكبر الأدلة على الحوار الفاعل بين الحضارات والشعوب.

إن وسائل النقل أصبحت قادرة وخلال أزمنة وجيزة أن تنقل الناس والبضائع عبر القارات المتباعدة، فتكون بذلك ساهمت في إيجاد المناخات الملائمة ليعرف البشر بعضهم بسرعة أكبر وليتلاقوا ويتحادثوا ويتبادلوا الأفكار والبضائع والهموم والأفراح.

لقد أصبح ما يجري في أية بقعة منعزلة في العالم يصل إلى كل بيت في المعمورة لحظة وقوعه، فمحضّر الأطعمة (الشيف) يقوم بعمله على الشاشة، وربة المنزل أو الآخر في طرف المعمورة المقابل، يقوم بتطبيق الخطوات التي يشرحها، ويصنع كل منهما الطبق ذاته، فيأكلان طعاماً واحداً، فيصبح عالمياً ولو أنه ينتمي إلى شعب معين، ويتم ذلك بسرعة لم تكن معهودة. ومصمم الألبسة أو التسريحات أو منتج العطور والأصبغة والاكسسوارات للنساء يقدمها على شاشة التلفزيون، نجد المرأة ترتديها أو تستخدمها في شوارع العالم وخلال زمن قصير، فيزداد ألقها واستعبادها أيضاً. والجيوش تحارب، فينطلق الصاروخ من الطائرة أو القنبلة من المدفع فترافقها الكاميرا ويراها المشاهد كيف تتوجه إلى الهدف، أو إلى المقاتل في الطرف المقابل أو إلى المدني البريء شيخاً كان أو طفلاً أو امرأة، فتقتله، وترينا الكاميرا الدماء والدموع والندب والمقابر الجماعية وأعقد التكنولوجيا في قتل الإنسان في اللحظة ذاتها التي يقع فيها الحدث.

ويقوم الناس بالتعرف على كل ذلك، والحديث عنه فرادى وجماعات، وتقوم المظاهرات تنديداً أو تأييداً، فأي حوار يمكن أن يفوق ذلك؟!

وأود أن أشير هنا إلى أن الحوار، قد يجلب سلاماً وقد يجلب حرباً، قد يغير الواقع وقد لا، لكنه ينقل الأفكار والمنتجات، ويجعل الناس أينما كانوا يعيشون ظروفاً مشابهة، أو يعرفون أموراً واحدة ويصلون إلى معلومات واحدة، فيتعاطى كل منهم انطلاقاً من اهتماماته وتوجهاته وتربيته وبيئته وحاجته.... إلخ.

لقد أصبح الهاتف والفاكس يصلان الإنسان بالإنسان في أية لحظة صوتاً، أو صوتاً وصورة أينما كان المتواصلان أو المتحاوران، وتنتقل الهموم والاهتمامات والتوجهات عبر الحديث، أليس في هذا حوار الحضارات؟

ثم تأتي الانترنت، هذه الشبكة العالمية للاتصال والتواصل، والتي أصبح عقل الكبار سناً لا يكاد يصدق ما تقدمه في حقل التواصل بين الناس في كل أنحاء العالم، حيث تطرح الآراء والأفكار والصور والتحليلات والمخططات والعداوات والقيم الروحية والانتهاكات والرغبات ولكل منهم أن يأخذ البضاعة التي يريد، أو يناقش ما يريد، أو يعرض ما يريد دون حواجز، أليس في هذا حوار للحضارات؟ أم أننا تعودنا أن ما لا يقدمه القادة والسياسيون ليس حواراً؟ لقد تغير العالم ويتغير بسرعة كبيرة.

تعميم نظم الحياة:

كان ولا يزال أهم نتائج الحوار بين الحضارات، اكتشاف الآخر، ليس بجسمه، بل بأفكاره وقيمه وطرائق عيشه، والتعرف إلى حزئيات حياته، وهذا ما يجعل بعض هذه الجزئيات ينتقل من شعب إلى شعب، ومن حضارة إلى حضارة، حتى أن بعضها يعمم الكون بأكمله، كما في نتاجات الحضارة الصناعية الغربية والتكنولوجيا المعممة.

لم تكن الاكتشافات العلمية وتطبيقاتها مهما كانت بسيطة هي التي تنتقل فقط، بل كانت العادات والطبائع تنتقل، وقد تتسالم كما قد تتصارع انتصاراً لمواقف الشعوب. أشير هنا إلى ما سمي في تراثنا بالحركة الشعوبية، حيث وجدت مجتمعات مختلفة العادات والطبائع نفسها تعيش الظروف ذاتها وكل منها يطمح أن يعمم وجهة نظره، فالعرب أصحاب الشوكة والدولة ومادة الدين والسياسة يرون أن حقهم أن يعمموا نظرتهم إلى الحياة وعلى الآخر أن يقبلها، باعتبارها الأفضل، والفرس أصحاب الحضارة والدولة الإمبراطورية المندحرة، يرون أن نصيبهم في سلم الحضارة أرفع، بالتالي على الأقل تحضراً أن يقبل ما هو أفضل، وينتصر كل فريق لوجهة نظره، فيبين عناصر الشرف والعزة والمجد والرقي في قيمه وعاداته، وينفي عن نفسه النقص والعيب، ثم يرزل الطرف الأخر مبيناً قلة فضائله، وتهافت مقولاته، وشحة علاقته بالحضارة الرفيعة والقيم الشريفة، مما دعا كبار علماء

وأدباء العصر للكتابة في الموضوع وأبرزهم الجاحظ الذي كتب في الرد على الشعوبية(15).

وإذا كانت الشعوبية تعبيراً عن صراع وصدام بين حضارتين احتكتا ببعضهما، فإن هذا الاحتكاك كان من خلال معركة حوارية بين حضارتين كان نصيب السيف فيها ضعيفاً، والمتحدث هو العقل والقلب والقلم، مما يعطيها البعد الحواري.

يقودنا هذا إلى جانب حواري آخر هو الأخلاق، فقد تأثر هذا الحقل نتيجة احتكاك الكتل الحضارية ببعضها أكثر من أية منظومة حياتية أخرى، ولا أريد الخوض في ذلك بل أحيل إلى كتاب د. محمد عابد الجابري ((العقل الأخلاقي العربي)) ضمن مشروعه الفكري ((نقد العقل العربي)). ففي هذا الكتاب يتعرف القارئ على حوار حضاري متسع، حيث يرصد الجابري انتقال منظومات القيم الأخلاقية لدى شعوب كالفرس واليونان إلى العرب وحياتهم السياسية والاجتماعية اليومية، وكيف أن مفردات النظم الأخلاقية الفارسية واليونانية كانت عماد المؤلفات في مجال الأخلاق لدى العلماء والمفكرين في الحضارة العربية الإسلامية، على مستوى الثقافة العالمة، وهذا لا يترك مجالاً للشك حول أن حواراً حضارياً كبيراً وفاعلاً قد حدث فسمح لحضارات ناهضة أن تستوعب القيم الأخلاقية لحضارات متوارية، وتدرجها في مسيرة حياتها وفكرها وتصبح منطلقاً لها، والجابري يستعرض أمهات الكتب والمؤلفات العربية في هذا الموضوع ويرد ما فيها إلى أصوله(16).

من الشواهد ذات الدلالة في هذا الجانب ما تركته وما تتركه الشعوب على أرض غيرها عندما تحل فيها غازية، أو بأي شكل كان، ففي بلداننا العربية آثار شعوب كثيرة مرت على أرضنا، إضافة إلى الآثار التي تركتها شعوب هذه الأرض والتي تعد من أقدم وأرقى ما قدمته البشرية في أحقاب وجودها.

على أرضنا آثار يونانية شاهدة على مرور اليونان، ومدن كإنطاكية والإسكندرية وأفاميا وغيرها شواهد على الدور اليوناني، كما أن هناك آثار رومانية في طرازها ومرجعيتها، وهي وإن كانت من إنتاج إنسان هذه الأرض إلا أنها

تحمل بصمة الثقافة الرومانية كما في بعلبك أو تدمر أو بصرى وغيرها. وهناك آثار للمماليك وللأتراك وغيرهم، وكلها شواهد على حضارات تركت آثارها في أرض غيرها، وهذه أيضاً صورة من صور الحضارات وتفاعلها، فالآثار العمرانية من شأنها أن تحمل بصمة العقل والذوق والمستوى الحضاري، كما تحمل دلائل على طرائق العيش والحياة اليومية والمعتقدات.

كما ترك العرب بصمات حيث حلوا، ولا يزال قصر الحمراء في غرناطة بالرغم مما لحق به من أذى يشهد على قوة الدور والوجود العربي في الأندلس، والكثير من هذه الآثار أثرت في الشعوب فحاورتها بطريقة حضارية، أي قلدتها، أو قلدت بعض عناصرها.

يقول غارودي: ((إن مسجد (ابن طولون) أعجوبة مثل كاتدرائية (شارتر). وقد يبدو أن بناة (شارتر) استوحوا من مسجد (ابن طولون)، وإن ((دنتيلا)) الأحجار التي تزين الكاتدرائية تنتمي حقاً إلى الفن الإسلامي))(17). أليس في هذا دليل على حوار حضاري.

من جهة ثانية تعد العمارة الدينية شاهداً على التماذج الحضاري وقبول الآخر، فارتفاع المآذن على المساجد في كثير من مدن الغرب شاهد ودليل على الحوار وعلى أن زمن الرفض قد تعرفه السياسة لكن لا تعرفه الحياة الأخرى التي تضج بالحركة والمشاعر.

في العصر الحديث تبدو إمكانات وآثار التأثر والتأثير أكبر مما كانت في الماضي بفعل التكنولوجيا الحديثة، وقوة النموذج الحضاري الغربي الذي يتسلح بهذه التكنولوجيا، أداة المعرفة، ومضمونها أحياناً.

إن نظاماً للحياة المدنية العمرانية واحداً يستجيب للنموذج الغربي يكاد يعم مدن العالم وبعض قراه ومراكزه الحضارية، وطرازاً واحداً للباس يكاد ينتشر في أرجاء المعمورة مخلفاً وراءه شيئاً فشيئاً ما كانت الشعوب ترتديه، ونظام التعليم الغربي أيضاً يكاد يعم الكون باعتبار أن العلم المقدم علم غربي الطابع، مما يجعله ينقل وسائله وأساليبه معه.أسلحة القتال وأسلوب خوض المعارك هي أيضاً مما يعم الكون. النظم السياسية والدبلوماسية من تنظيم الحكومات إلى المجالس

النيابية التمثيلية إلى المجالس المحلية (البلدية) إلى السفارات والبعثات الدبلوماسية، كل ذلك يكاد يكون واحداً بفعل التأثير الحضاري، وحوار الحضارات دون النظر إلى قضية الأقوى والأضعف، الملقن والمتلقن بينهما،

أساليب حياة الناس في بيوتهم، وسائل نومهم، وسائل طعامهم، وسائل مواصلاتهم، أدوات القراءة والكتابة، المنظفات المستخدمة..... إلخ، تكاد تكون واحدة أو ذات نظام واحد في أغلب بقاع العالم. ثم نقول إن الغالب على علاقة الحضارات هو الصدام؟ هذا غير معقول.

صحيح أن الغالب على مفردات الحياة وطابعها وأدواتها هو أسلوب الحياة والحضارة الغربية، التي تضج بها كل شوارع العالم وأزقته وأبنيته. وصحيح أن المطاعم الغربية مثلاً، كما كدونالد وكنتاكي وغيرها تنتشر في معظم دول العالم، إذ أن لماكدونالد ما يزيد على خمسة وعشرين ألف مطعم على امتداد العالم، لكننا لا نزال نسمع عن المطعم الصيني مثلاً والإيطالي أو العربي الشرقي وحتى المطعم اللبناني أو السوري، حتى في شوارع الغرب، وصحيح أن الآلات الموسيقية الغربية التي أفسد بعضها الموسيقى والذوق الموسيقى، قد انتشرت في العالم لكننا نعلم أن الموسيقا التي يعتز الغرب بإيجادها وباختراع أدواتها، كموسيقا الجاز أو الروك هي تطوير لموسيقا الشعوب الأفريقية بطبولها وإيقاعها السريع، وبالرقصات المرافقة. وصحيح أن الطب الغربي تقدم لكن لا نزال نسمع عن دور الابر الصينية في شفاء الأمراض العديدة، وأن مصممي الأزياء يطورون ويحورون أزياء شعوب معروفة، كتطوير الساري الهندي أو العباءة العربية وغيرها من الأزياء.

لقد تأثرت الفنون الغربية الحديثة بكثافة بفنون الشعوب المختلفة، كالانتشار الكثيف للقناع الإفريقي في مجالات فنية(18). وهو انتصار لحضارة وثقافة، منظور إليها بعين النقص، وتأكيد حضورها في مواقع أعتى الحضارات في العالم، كما أن انتشار رياضة اليوغا الهندية على مستوى واسع في الغرب، وهي رياضة بدنية نفسية روحية، مرتبطة بالبوذية، هو أيضاً دليل تثاقف وحوار بين الحضارات، وتأكيد حضور الحضارات جميعاً على ساحة الوجود.

كل هذا يجعلنا نؤمن أن الحضارة هي المشاركة، وهذه المشاركة العالمية الحضارية لها طريق واحد فاعل هو طريق حوار الحضارات الفاعل والحاضر دائماً، وزيادة تفعيله، وإفساح المجال له ليزداد ويتطور.

الرياضة وحوار الحضارات:

واكبت الرياضة الوجود البشري، وتأثرت بالبيئات، فانطبعت بطابعها، فأصبحت البيئات البحرية هي الأكثر اهتماماً بالألعاب المائية، وفي الصحارى كان ركوب الخيل والجمال وغيرها، وفي مناطق الجبال كانت ألعاب القوى، وفي المناطق المثلجة كان ألعاب التزلج وغيرها، وألعاب الكرات في مناطق العمران الكبرى. ..... إلخ.

لكننا في هذا العصر نشهد كل الشعوب تمارس كل الألعاب، فالألعاب المائية في الصحراء وركوب الخيل في البيئات البحرية... إلخ. وهذا أمر له دلالته، وهذه الدلالة تنسجم مع مقولة حوار الحضارات، فما إن تعرفت الشعوب على رياضات غيرها حتى تأثرت بها ومارستها وأصبحت تزاحم على بطولاتها.

إذن، إننا نجد في تعميم هذا العدد الكبير من الرياضات لدى كل الشعوب في وقت واحد، دليل على ما بين هذه الحضارات من تواصل وتفاعل يؤدي إلى انتقال الأنشطة التي قد لا تعد من القضايا الحياتية الضرورية. وهذا يوحي أن الاختيار لم يكن لضرورة ملزمة، بل كان تأثيراً متأنياً وحراً، يؤدي إلى الانخراط في التجمعات العالمية، حتى لو لم يكن حول القضايا الحياتية الملحة، كي لا يبقى المجتمع خارج إطار هذه التجمعات والتنظيمات التي تأخذ الصفة الدولية.

فكثير من الدول التي تكون واثقة من أنها لن تنال الكؤوس أو الميداليات والمراتب في ألعاب معينة، ومع ذلك تشارك فيها من قبيل التفاعل الإنساني، الذي هو شكل من أشكال الحوار بين الشعوب والحضارات.

إن تعميم الألعاب التي كانت من عوالم شعوب متعددة، وممارسة كل شعب لرياضات غيره من الشعوب، ، جعلت هذه الألعاب عالمية المستوى والانتشار، تنظم لها

المسابقات والدورات العالمية الكبرى، وتنفق عليها النفقات الكبيرة، حتى إذا كانت الشعوب لا تجد ما يسد رمقها فلا بد لها أن تنفق على الرياضة ما تستحقه وتريده كي لا توصف بأنها شعوب غير متحضرة، فعصرنا هذا يصم من لا يهتم بالرياضة بأنه متخلف، ذلك لأن الرياضة، كما تمارس وينفق عليها، وكما تبدو في الإعلام، هي ترف الشعوب الغنية، فمن لم يواكبها فلن يكون منتمياً إلى التحضر، حتى لو لم يكن يعرف من الرياضات إلا اسمها، ولا يمارس أياً منها سوى رياضة الكلام والأخبار.

إن الدورات الرياضية القارية أو العالمية عموماً، هي ميدان هام في عصرنا لحوار الحضارات، لأن لقاءات كثيرة، واحتكاكات بين عناصر من شعوب العالم وحضاراته، تتم خلال هذه الدورات والجهود لتقديمها طازجة للناس أينما وجدوا، مما يجعلها مناسبة لتقديم الشعوب إلى بعضها ويكاد شبابنا يعرف أحدهم عن لاعب كرة قدم وعن بيئته الأمريكية اللاتينية مثلاً، أكثر مما يعرف عن جاره في البيت أو قريبه في العائلة. ومعرفة اللاعبين والنوادي والدورات وظروفها، ما يتم من بطولات، خاصة تلك التي تتعلق بالغرب، هو جزء في التكوين الثقافي لشبابنا.

والرياضة في زماننا تفتح آفاقاً جديدة وكبيرة للإعلام والاقتصاد والأزياء التي يرتديها الناس و التي تحمل الإشارات الدالة على الأنشطة، وعلامات الفرق وقد نشأت شركات عالمية كبرى للأزياء الرياضية، تقدم الألبسة للرياضيين وغيرهم في العالم، ومن يجهلها أو لا يلبس منتجاتها بعيد عن التحضر، كما في شركتي: نايكي وأديداس. وقد ذكرت وسائل الإعلام أن أرباح اليابان من البطولة العالمية لكرة القدم (المونديال) التي جرت مناصفة بينها وبين كوريا الجنوبية /2002/، بلغت /6.240/ مليار دورلار، وإن صافي أرباح كوريا هو /8.8/ مليار دورلار، وإن حجم الاستثمار خلاله بلغ /220/ مليار دولار، وسيؤمن للصناعة الكورية /44/ ألف وظيفة(19).

إن عالمية الحركة الرياضية، اقتضت عالمية قوانينها ونظمها وقواعدها ومواسمها، فهي تجري بإشراف وتنظيم اتحادات عالمية ومحلية، ولها قوانين صارمة في تطبيقها، ولا يساوم عليها، بينما نجد تهاوناً في تطبيق القوانين التي تحفظ السلم العالمي وحياة ومقدرات الشعوب. القوانين الدولية حتى التي ترعاها هيئة الأمم

المتحدة عرضة للانتهاك، لكن قوانين الألعاب الرياضية لا تنتهك. أيضاً في هذا جانب من جوانب الحوار والاتفاق عالمياً على قدسية هذه الأنظمة وضرورة عدم المس بها، وصرامتها لا تعني بلداً دون غيره، ولا لاعباً دون آخر، وإذا كانت طائرات ودبابات معتد ما، يمكنها أن تتجاوز حدود الآخر مئات بل آلاف الكيلومترات، فإن اللاعب الرياضي لا يستطيع أن يتجاوز السنتمترات أو الأجزاء من الثانية. وهذه قواعد عالمية لا يجادل فيها أحد.

هكذا تبدو الرياضة دليلاً على حوار لا ينتهي بين الحضارات.

الحوار والتحرر الاجتماعي:

إن حصول بعض الشعوب على حريتها بطريقة ما، جعل غيرها من الشعوب لا يتوانى عن سلوك الطريق الذي سلكته تلك المتحرره، فكانت العدوى واقتباس الأشكال النضالية نتاج التعرف على أساليب الآخرين وممارساتهم.

على أن هناك فئات اجتماعية نالت حظاً أكبر من غيرها في الدعوة إلى تحررها وتحريرها، لأهميتها الاجتماعية، ولبؤس واقعها وما تعانيه من عسف وتخلف.

أبرز هذه الفئات العمال الذين كانوا يعملون في ظروف قاسية، وتحت وطأة استغلال عنيف من قبل أرباب عملهم الرأسماليين وبأجور زهيدة كي يكون حاصل ربح رب العمل أكبر، وكانت مطالباتهم بحقوقهم تقمع قمعاً عنيفاً. حتى التعبير عن هذه الحقوق لم يكن متاحاً. وعبر مراحل عديدة من النضال حصل العمال في بعض مناطق العالم على بعض الحقوق، كحق الإضراب وتشكيل النقابات المدافعة عنهم والمنظمة لحياتهم.

وقد لعبت الماركسية كفكر، دوراً كبيراً في نقل النضال من أجل حقوق العمال إلى مستوى أرفع، فتم رفع شعارات تعبر عن عالمية النضال العمالي مثل ((ياعمال العالم اتحدوا)) وهو الشعار الشهير الذي يجري نضال الشيوعيين العالميين في ظله، وقد أخافت هذه الشعارات الرأسماليين العالميين، خاصة بعد نجاح الثورة الروسية وظهور الاتحاد السوفييتي الذي أعطى دفعاً عالمياً كبيراً لنضال الطبقة

العاملة، فلم يكن أثر ذلك وقفاً على العمال في المنظومة الاشتراكية، بل سبقهم إلى ذلك الرأسماليون في الغرب، حيث ظهرت دولة الرفاه. فقد أصبح العامل ينال جزءاً لا بأس به مما يستحق من قبل رب عمله، يساعده على حياة فيها بعض ما يحفظ الكرامة الإنسانية، وذلك خوفاً من أن يتأثر هؤلاء العمال بالدعوات الشيوعية في ظل هيمنة الفقر عليهم فتحدث الكوارث على مستغليهم، وهكذا ظهر الأثر الإيجابي لهذا التوجه العالمي، وأصبح عمال العالم جميعاً ينقلون تجاربهم إلى بعض ويطالبون بحقوقهم، وينظمون صفوفهم، والفضل في ذلك للحوار بين الحضارات الذي يعمم المقولات والآراء والتنظيمات والأفكار، فكيف إذا وجدت منظمات عالمية ترعاها الشيوعية الدولية، همها الأساسي تعريف عمال العالم بحقوقهم وحشد طاقاتهم في ظل الأحزاب الاشتراكية العالمية، في سبيل هذه الحقوق، وبيان وحدة الطبقة العاملة على مستوى العالم. هذا المكتسب بالرغم من تراجع الحركة الشيوعية العالمية، لم يتراجع، وبقيت اتحادات العمال ونضالهم العالمي قائمة، ولا أعتقد أن مثل هذا المكتسب سيتم التخلي عنه، إذ تبرهن الحركة المتصاعدة ضد العولمة ومفاعيلها على عولمة نضال الفئات الكادحة أيضاً(20).

القطاع الاجتماعي الثاني الذي نقدمه شاهداً على حوار الحضارات في المجال الاجتماعي، والذي تأثر كثيراً بأفكار التحرر، هو قطاع المرأة، هذه الفئة المنتهكة الحقوق والمظلومة. لقد حصلت المرأة على جزء من حقوقها في أوربا بشكل متدرج عبر عصر النهضة، وأصبحت مواطنة ومشاركة للمواطن الذكر في شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وبما أن واقع المرأة في بلادنا كان ولا يزال إلى حد ما ـ مأساوياً، فقد كان هذا الحقل جاهزاً للتأثر بالأفكار الوافدة، ولما كانت نهضتنا الحضارية قد بدأت ونمت بالاحتكاك بالغرب ومعرفة ما لديه ومستوى تطوره عن طريق وفود الغربيين إلى بلادنا، وحضور أبناء بلادنا إلى الغرب للدراسة والتجارة والتداوي والسياحة وغير ذلك من الأسباب.

وقد أتاح هذا التواصل التشبع والاقتناع بكثير من الأفكار التحررية من قبل بعض المتغربين وكان من أهم هؤلاء رواد النهضة في مصر.

لقد استشعر قاسم أمين، هذا النهضوي الفذ، خطورة بقاء المرأة على تخلفها، ومدى ما يسببه وضعها من ضرر، بعد اطلاعه على وضع المرأة في الغرب، فكانت مقارناته دائماً تنصب على وضع المرأة في مصر والشرق مقابل المرأة الأوربية، وبدأت مطالبته بتحرر المرأة انطلاقاً من ذلك الذي يعد حواراً واضحاً بين وضع اجتماعي نسوي في الشرق ومثيله الغربي.

لقد قدم قاسم أمين جهداً كبيراً في سبيل تحرر المرأة ظهر في كتابيه ((تحرر المرأة)) و((المرأة الجديدة)) على تخوم القرن التاسع عشر والقرن العشرين، مقتحماً ميداناً وعراً، بجرأة فكرية وعملية كبيرة، سلاحه في ذلك قناعاته المتشكلة بالاحتكاك بالثقافة الأوربية، ونظرته التجديدية التي لا تخرج على مبادئ الدين وإن خرجت على قناعات من يدّعون تمثيله، وعلى التقاليد السائدة.

وقد تتابعت هذه المعركة (معركة تحرر المرأة) وأنتجت الكثير من الأدبيات، وكان لها الكثير من الأعوان والكثير من الأعداء حتى يومنا هذا. وإذا كنا نرى أنها حصلت على بعض حقوقها فلا تزال تفتقد البعض الآخر على أمل الحصول عليه، ومع ملاحظة بطء حركة تحررها لصلابة الوضع الذي تتم مواجهته، ولسلبية المرأة في كثير من الأحيان، وهي التي يجب ألا تنتظر من يحررها، فمن يحررها سيحررها من أجل نفسه، أي إنها تنتقل من عبودية إلى أخرى. إذاً عليها أن تحرر نفسها، ولا سلاح لذلك كالعلم والثقافة.

ومما لا شك فيه أن حركة التحرر هذه كانت نتاج الاحتكاك بالحضارة الغربية وبالفكر الغربي العقلاني الذي عمل عمل المحرض ودوره التنويري، وبالمستوى الذي وصلته المرأة في مجتمعاتها هناك، وهذا ما يسمى بحوار الحضارات، وهذه نتائجه، سواء جاء عن طريق المؤتمرات والمباحثات أو بدونها.

❖ ❖ ❖

هوامش الفصل الثالث

1 - د.تهامة العبدولي، حوار قديم بين الثقافة العربية واليابانية: في دراسة عادة جامعة، النهج /33/ شتاء /2003 ص42 ومابعد.

2 - المرجع السابق.

3 - المرجع السابق ص54

4 - فراس السواح، دين الإنسان، دار علاء الدين، ط1 /1994 ص97 ومابعد.

5 - صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، مرجع سابق، ص318 ومابعد.

6 - جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، دار العلم للملايين. بيروت ط3 /1964، ص91

7 - المرجع السابق ص91

8 - المرجع السابق ص92 ومابعد.

9 - د.محمد خليل الموسى، تكامل حقوق الإنسان في القانون الدولي والإقليمي المعاصر، مجلة: عالم الفكر، عدد خاص (حقوق الإنسان)، مجلد /31/العدد /4/ أبريل - يونيو /2003 ص149 ومابعد.

10 - المرجع السابق، ص164

11 - المرجع السابق ص166

12 - راجع: د.محمد يوسف علوان، القانون الدولي لحقوق الإنسان، العدد السابق ذكره من عالم الفكر (حقوق الإنسان).

13 - المرجع السابق ص205

14 - د. أمين اسبر، الحوار والحضارة العربية الإسلامية، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/2003 ص233

15 - راجع: شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط2 ص74

obeikandl.com

أيضاً: شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط2 ص97

أيضاً، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج1 ط10، دار الكتاب العربي، ص49

16 - راجع.د.محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مرجع سابق.

17 - روجه غارودي، حوار الحضارات، مرجع سابق ص173

18 - راجع مجلة الثقافة العالمية، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت ملف: جماليات الفن الإفريقي ص38 - 113 السنة /21/ عدد/112/2002

19 - المعلومات عن فضائية الجزيرة خلال البطولة.

20 - راجع، حسن ابراهيم أحمد، الماركسية والعولمة بين المقاربة وصراع النقائض، مجلة (الطريق)، السنة /58/ العدد /1/ 1999 ص56 ومابعد.

❖❖❖

obeikandl.com